حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله

لسماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإننا اخترنا أن تكون الكلمة في هذا العدد المبارك في مجلة البحوث الإسلامية، حول حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله، وذلك لدعاء الحاجة بل والضرورة لذلك، ولما نرى من جهل كثير من المسلمين، فضلاً عن غيرهم بحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله، ووقوعهم فيما يخالفها مما يناقضها أو يضاد كمالها أو ينقص به إيمان العبد بها، فكان لزاماً أن نبين ذلك نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم امتثالاً لأمر الله سبحانه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾[2]، وقوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات، ولقوله ﷺ: « **الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة** ». قال

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٥ .

(٢) سورة الأعلى، الآية ٩ .

(٣) سورة الغاشية، الآية ٢١ .

الصحابة: لمن يا رسول الله؟ قال: ((**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)). رواه مسلم.

فواجب على كل من عرف الحق بدلائله أن يبينه وينشره بين الناس، سيما في هذه الأزمان التي اشتدت فيها غربة الإسلام، وبات المعروف فيها منكراً والمنكر فيها معروفاً، وقل من يرفع رأسه بالحق ويظهره فلا حول ولا قوة إلا بالله وسلوانا قول الرسول ﷺ: ((**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**)).

وقبل البدء في ذلك أقدم بمقدمة أرى أنها نافعة فأقول مستعيناً بالله : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، أمر ملائكته بالسجود له، وكان إبليس من الجن، وليس من الملائكة، وإنما دخل في خطابهم لتوسمه بأفعال الملائكة وتشبهه بهم وتعبده وتنسكه، لكن حين أمروا بالسجود وسجد الملائكة، لم يسجد إبليس اللعين: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]. ويقول سبحانه في سورة الكهف: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[2] الآية. أبى أن يسجد لآدم كبراً وحسداً وبغياً فكان عاقبته أن طرد من رحمة الله وحلّت عليه لعنة الله، لكن الخبيث ازداد بغيه وعظم حقده على آدم

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٤ .

(٢) سورة الكهف، الآية ٥٠ .

وذريته وطلب من الله الإنظار إلى يوم القيامة فأنظره الله، عند ذلك قال ــــ كما قص الله خبره ــــ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[(١)]. والمعنى أنه أقسم أن يضل عباد الله من بني آدم عن طريق الحق وسبيل النجاة لئلا يعبدوا الله ولا يوحدوه ويسلك شتى الطرق لصدهم عن الخير وتحبيب الشر لهم. ومثله قوله تعالى قاصاً خبره: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[(٢)]. وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ... ﴾[(٣)] الآية. فلم يزل بآدم عليه السلام وذريته وسوسةً وإغواءً وإضلالاً حتى تسبب في إهباط آدم من الجنة وقتل ابن آدم لأخيه، ولم يكفه هذا فلما مرّ ببني آدم الزمان وطال عليهم العهد بالنبوة حسّن إليهم الشرك وأغواهم فكان له ما أراد، وصدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، ووقعوا في الشرك، وكان أول ذلك زمن قوم نوح حين عبدوا الأصنام وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، وكانت هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة الحجر، الآيتان ٣٩، ٤٠ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٢ .

التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت، هذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما كما في البخاري. وروى ابن جرير عن محمد بن قيس قال: « كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقون المطر فعبدوهم ».

هكذا بدأ الشرك في بني آدم، بسبب إغواء إبليس لهم، لكن الله سبحانه بحكمته وعلمه ورحمته بعباده لم يتركهم هملاً يغويهم إبليس وجنده، بل أرسل إليهم الرسل لتبين لهم الدين الحق، وتحذرهم من الشرك والضلال رحمةً منه بعباده، وإقامةً للحجة عليهم: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[1]، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2]. ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٢ .

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين** »، وفي لفظ آخر: « **من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه** ». فأرسل الله الرسل إقامة للحجة على عباده وإعذاراً لهم. وهذه الرسالات من نعم الله على خلقه أجمعين؛ إذ حاجة العباد إليها فوق كل حاجة، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، فهم في حاجة إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والدواء، إذ قصارى نقص ذلك أو عدمه تلف الأبدان، أما الرسالة ففيها حياة القلوب والأديان، بل والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]، أرسل الله الرسل وجعلهم بشراً من أقوام المرسل إليهم وبلسانهم ليبينوا لهم الدين الحق: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]. وكل أمة بعث فيها رسول، قال عز وجل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾[3].

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩).
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤ .
(٣) سورة يونس، الآية ٤٧ .

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[1]. بعثوا جميعاً بدين واحد وهو الإسلام؛ إخلاص الدين لله، وتجريد التوحيد له سبحانه، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3]، وفي الحديث عنه ﷺ: « **الأنبياء إخوة، أمهاتهم شتى ودينهم واحد** » متفق عليه.

وكذلك أيضاً كل رسول يأمر قومه بطاعته إذ هذا مقتضى الرسالة يقول عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[4].

ولم تزل الرسل تتابع إلى أقوامهم لدعوتهم إلى التوحيد ونبذ الشرك ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[5]. الآية، إلى أن جاء موسى وبعده عيسى عليهما السلام وظهرت في كتبهما البشارة بالنبي محمد ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾[6]، ويقول عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[7]. وبعد أن رفع عيسى عليه السلام وطال ببني آدم

---

(١) سورة فاطر، الآية ٢٤ .

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

(٤) سورة النساء، الآية ٦٤ .

(٥) سورة المؤمنون، الآية ٢٣ .

(٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

(٧) سورة الصف، الآية ٦ .

العهد قبل بعثة النبي ﷺ حمل إبليس بخيله ورجله على بني آدم فأضلهم ضلالاً بعيداً، وأوقعهم في الكفر والشرك والضلال بصنوفه إلا قليلاً منهم، وبلغ من حالهم أن مقتهم الله سبحانه عربهم وعجمهم إلا القليل، ثم بعث النبي محمد ﷺ الذي يقول: « **يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة** »[1]، بُعث والحال كما أخبر به ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه حيث قال ﷺ في خطبته: « **ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان** ... » الحديث[2]. فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ، بعثه رحمةً للعالمين، ومحجةً للسالكين، وحجةً على الخلائق أجمعين، أرسله بالهدى ودين الحق

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، وصححه ووافقه الذهبي، والبزار، والطبراني في الصغير بلفظ: « **بعثت رحمة مهداة** »، والطبراني في الأوسط والشهاب في مسنده، وهو بمجموع الطرق حسن وجاء في صحيح مسلم عنه ﷺ: « **إني لم أبعث لعاناً إنما بعثت رحمة** .. ».

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٦٣ .

بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فختم به الرسل، وهدى به من الضلال، وعلّم به من الجهالة، وفتح برسالته أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفا، فأشرقت الأرض بعد ظلماتها، وتألفت بها القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء، رفع الله به الآصار والأغلال وجعل رسالته عامة للإنس والجان، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾[1]، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[2].

أرسله الله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم إلى أظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباد الله بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، فهدى الله به الخلائق، وأوضح به الطريق، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفرق به ما بين الأبرار والفجار، وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته، رؤوف رحيم بالمؤمنين حريص على هداية الخلق أجمعين عزيز عليه عنادهم وتعنتهم: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[3]. خلاصة

(١) سورة سبأ، الآية ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨ .

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

دعوته البشارة والنذارة والدعوة إلى الله ببصيرة وحكمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(١).

هو خاتم الأنبياء وشريعته وكتابه المهيمن على سائر الشرائع والكتب الناسخ لها: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾(٢)، ويقول عز وجل: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾(٣). هو ﷺ محمد وأحمد، والماحي يمحو الله به الكفر، والحاشر يحشر الخلائق على قدمه، والعاقب ليس بعده نبي، وهو نبي التوبة ونبي الرحمة ﷺ، له الحوض المورود والمقام المحمود الذي يحمد عليه الخلائق، وذلك حين يخرّ ساجداً تحت العرش ويحمد ربه بمحامد يفتحها عليه، ثم يقال له ﷺ: ((**ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع**)).

شرح الله صدره ووضع عنه وزره وجعل الذلة على من خالف أمره ورفع له ذكره، فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، وكفى بذلك شرفاً، وأعظم ذلك الشهادتان، أساس الإسلام ومفتاح دار السلام، عاصمة الدماء والأموال والأعراف، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٥ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨ .

فمعنى لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله سبحانه. وأركانها النفي والإثبات: (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له. وشروطها: العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص والمحبة، وزاد بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بما عبد من دون الله.

وتحقيق هذه الشهادة ألا يعبد إلا الله، وحقها فعل الواجبات واجتناب المحرمات.

هذه جمل مختصرة في شهادة ألا إله إلا الله، أما تفاصيلها فلا تحتملها هذه الكلمة اليسيرة.

أما حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله فهي متضمنة لأمور، رأسها وأساسها الإيمان به، وذلك بالإيمان واليقين التام بأنه رسول الله حقاً (محمد رسول الله) وأن رسالته عامة للبشر عربهم وعجمهم يقول الله سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١) ، ويقول عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢). ويقول ﷺ: « **كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة** » متفق عليه، ويقول أيضاً ﷺ: « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار** » رواه مسلم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨ .

(٢) سورة سبأ، الآية ٢٨ .

بل رسالته تعم الجن أيضاً: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

ومن الإيمان به الإيمان بأنه ﷺ عبدٌ لا يعبد، ورسول لا يكذب. ومن الإيمان به الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن كتابه القرآن الكريم هو آخر الكتب المنزلة المهيمن عليها، وشريعته هي الناسخة للشرائع قبلها، يقول عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾[2]، ويقول عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات ٢٩ - ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ٨٥ .

وقد أجمع المسلمون على ذلك وهو عندهم من العقائد الثابتة بيقين والإيمان بالرسول ﷺ قد جاءت به الآيات صريحة قاطعة للمعذرة يقول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ... ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]. ويقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ... ﴾[3]، بل إن الله أخذ ميثاق النبيين على الإيمان بمحمد ﷺ ونصرته فلا يسع أحداً منهم لو كان حيًّا وقت بعثته ﷺ إلا اتباعه يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) ﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٣٦ .

(٤) سورة آل عمران، الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والاستجابة لدعوته ﷺ فقد جعل الله طاعة الرسول طاعة له سبحانه وقرن طاعته بطاعة الرسول في أكثر من موضع في كتابه، يقول عز وجل: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(١). ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾(٢). ويقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(٣).

وعلق الهداية على طاعته ﷺ فقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾(٤)، وجعل من حقق طاعة الله ورسوله في زمرة أشرف الخلق فقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(٥). بل علق على طاعة الله ورسوله الفوز العظيم ألا وهو دخول الجنات، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٦).

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٠ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) سورة النور، الآية ٥٤ .

(٥) سورة النساء، الآية ٦٩ .

(٦) سورة النساء، الآية ١٣ .

وأما تصديق خبره فهو حقيقة الشهادة ولا تتم الشهادة إلا بتصديقه وإلا كان كاذباً منافقاً وقد أثنى الله على المسلمين بتصديقهم النبي ﷺ فقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(١). قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ قال: المسلمون. وقد ذم الله من كفر بالرسول ﷺ وتوعده بأشد العذاب، قال تعالى: ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٢)، وقال في سورة المدثر فيمن كذب خبر الرسول ﷺ فيما جاء به من القرآن يقول الله عز وجل: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ... ﴾(٣).

بل إن سنة الله فيمن كذب رسله ماضية في نزول العذاب والهوان بهم، يقول الله سبحانه: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾(٤).

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣٣ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٣٢ .

(٣) سورة المدثر، الآيات ١١-٢٦ .

(٤) سورة ص، الآية ١٤ .

ويقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(1).

ودليل الاستجابة لدعوته ﷺ، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(2).

فأمر بالاستجابة للرسول ﷺ وقرنها بالاستجابة لله سبحانه وتعالى، وسمى ما يدعو إليه ﷺ حياة؛ لما فيه من نجاتهم وبقائهم وحياتهم بالإسلام بعد موتهم بالكفر. وحذر من عدم الاستجابة للرسول ﷺ فقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(3).

ومن حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله محبته ﷺ ونصرته وموالاته وتعظيمه، وبعد وفاته ﷺ تكون النصرة لسنته ﷺ، فدليل محبته ﷺ قوله ﷺ: « **فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده** »، وفي حديث أنس عنه ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » متفق عليه. وقوله ﷺ: « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة**

---

(1) سورة المؤمنون، الآية ٤٤ .

(2) سورة الأنفال، الآية ٢٤ .

(3) سورة القصص، الآية ٥٠ .

الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... » الحديث.

وتوعد الله سبحانه من قدم محبة أحد كائناً من كان على محبة الله ورسوله فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[(١)].

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لرسول الله ﷺ: والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه** » فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: « **الآن يا عمر** ».

ودليل النصرة والتعظيم قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[(٣)]، ويقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٣) سورة الفتح، الآيتان ٨، ٩ .

مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[1]، ووصف طائفة من المؤمنين وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ... ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾[4]، ودليل الولاية قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[5]. ويقول عز وجل: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[6].

ومما يدخل في حقيقة هذه الشهادة العظيمة التسليم له ﷺ وتحكيم شرعه والتحاكم إليه والرضا به، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[7] . وقال سبحانه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨١ .

(٢) سورة الحشر، الآية ٨ .

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٠ .

(٤) سورة النور، الآية ٦٣ .

(٥) سورة المائدة، الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٦) سورة التحريم، الآية ٤ .

(٧) سورة النساء، الآية ٩٥ .

في صفة المؤمنين مثنياً عليهم ومشيداً بهم: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١). وقال سبحانه واصفاً المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢). وقال سبحانه أيضاً فاضحاً أمرهم مشدداً في ترك طريقهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(٣).

فتحكيم شرع الله وما جاء به الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، الأفراد على أنفسهم وكذلك الحكام وولاة الأمر على رعاياهم ومن تحت أيديهم واجبٌ فرض متحتم لا محيد عنه لمؤمن مسلم بل هو من حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(١) سورة النور، الآية ٥١ .

(٢) سورة النور، الآيات ٤٧ - ٥٠ .

(٣) سورة النساء، الآيتان ٦٠ ، ٦١ .

ومن حقيقة هذه الشهادة العظيمة ـ شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ـ الاقتداء والتأسي به ﷺ واتباع سنته والرد إليه في حياته عند التنازع، وإلى سنته بعد وفاته ﷺ وتقديم سنته على رأي كل أحد كائناً من كان والحذر من مخالفته ومشاقته ومحادته ﷺ. يقول الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]. ويقول عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2]. ولما ادعى أقوام محبة الله سبحانه أنزل آية الامتحان في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3].

ويقول أيضاً جل وعلا: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[4]. ويقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[5]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٢) سورة الحشر، الآية ١٧ .

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣١ .

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩ .

(٥) سورة الحجرات، الآية ١ .

﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال الشافعي يرحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.اهـ.

هذا قول أحمد فيمن اتبع رأي سفيان وهو الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، إذا كان رأيه يخالف الحديث فكيف بمن هو دونه؟!

ويقول الله عز وجل: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦ .

(٢) سورة النور، الآية ٦٣ .

(٣) سورة النساء، الآية ١١٥ .

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1]، ويقول عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

هذه هي حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ بشيء من التفصيل والبيان. وقد أجملها بعض أهل العلم ـ وهو الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرحمه الله ـ فقال في معناها: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

هذا وإن حقوق المصطفى ﷺ على أمته أمور عظيمة:

منها: ألا يخاطب كما يخاطب سائر الناس بل يخاطب باحترام وأدب فيقال: رسول الله ﷺ، نبي الله ﷺ، ولا يقال: محمد، أو محمد بن عبدالله ونحو ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ...﴾[3] الآية.

ومنها أيضاً: سؤال الله الوسيلة له ﷺ؛ لقوله ﷺ: « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وإني لأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة** » رواه مسلم.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٣ .

(٢) سورة التوبة، الآية ٦٣ .

(٣) سورة النور، الآية ٦٣ .

ومنها أيضاً: الصلاة والسلام عليه ﷺ وهي في الصلاة واجبة بل عدها بعض العلماء ركناً لا تصح الصلاة إلا بها. وتتأكد عند ذكره ﷺ، ويوم الجمعة وليلتها وعند الدعاء إلى غير ذلك وقد بسط ذلك بسطاً نافعاً ومفيداً العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه النافع القيم (جلاء الأفهام) فليراجع هناك. قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

أيها الإخوة في الله قد بينا فيما سبق حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله التي من عمل بها والتزم بها ظاهراً وباطناً فهو الصادق في شهادته، ومن خالفها فإنه على خطر عظيم.

والمخالف لهذه الشهادة أقسام:

فقسم لا يؤمن برسالة محمد ﷺ وينكرها جملة وتفصيلاً تكذيباً أو عناداً، كحال المشركين.

وقسم يؤمن برسالة النبي محمد ﷺ لكن ينكر عمومها، ويقول: إنها خاصة بالعرب، كحال طوائف من أهل الكتاب. ويقال لهؤلاء وأولئك: يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2]، ويقول سبحانه

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦ .

(٢) سورة سبأ، الآية ٢٨ .

وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٢).

وليس مقصودنا في هذه الكلمة استقصاء الرد على هؤلاء وغيرهم من الطوائف فإن علماء الإسلام وأئمتهم قد أجادوا في ذلك وصنفوا فيها المصنفات فمن أراد الاستزادة فعليه مراجعة المطولات.

وقسم يشهدون أن محمداً رسول الله، وينتسبون للإسلام، لكنهم خالفوا حقيقة هذه الشهادة بأنواع ومراتب من المخالفات بعضها أعظم من بعض.

فقسم منهم بالغ في الغلو فيه ﷺ وجعله نوراً أزلياً ينتقل في الأنبياء حتى جاء ﷺ، ومنهم من يزعم أنه مظهر يتجلى الله فيه والعياذ بالله. **فالأول** قول الغلاة الشيعة والباطنية وأيضاً غلاة الصوفية. **والثاني** هو قول أهل وحدة الوجود. وكل هذه أقوال كفرية لا تصدر عن قلب مؤمن وإنما يُزخرف فيها القول وتلبس لباس الإسلام تمويهاً على العوام. وإلا فهي مضاهاة لقول من سبق من الأمم الكافرة من مثل اعتقاد النصارى في المسيح وأنه إله في صورة إنسان.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٣ .

والرسول ﷺ إنما هو بشرٌ وعبدٌ من عباد الله اصطفاه الله وشرفه بأن كان خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين وبشريته تنفي ما زعم فيه من المزاعم الباطلة التي ذكرت سابقاً وما شابهها، يقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(١)، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٢)، وقال ﷺ: « **إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون** ». وغير ذلك من الأدلة والنصوص الدالة قطعاً على بشرية محمد ﷺ ، وأن الله سبحانه إنما ميّزه بالرسالة والنبوة، أما الغلو فيه ورفعه فوق منزلته فهذا مخالف لحقيقة رسالته وشهادة أن محمداً رسول الله.

وقسم منهم غلا فيه أيضاً بأن صرف له ﷺ أنواعاً من العبادة مثل: الدعاء والخشوع والصلاة إلى قبره ونحو ذلك مما هو من خالص حق الله عز وجل. وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك، وشدد فيه وأبدأ فيه وأعاد، بل قبل ذلك القرآن الكريم فإن الله سبحانه خص الدعاء والخضوع والصلاة ونحوها من العبادات به سبحانه. يقول عز وجل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٣)، ويقول سبحانه

(١) سورة الكهف، الآية ١١٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩٣ .

(٣) سورة غافر، الآية ٦٠ .

واصفاً أفضل عباده: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾(١)، وقال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾(٢)، وقال أيضاً عز وجل آمراً نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٣). وقال ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله** » أخرجاه. وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** ». يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

ونهيه ﷺ وتشديده في اتخاذ القبور مساجد بالصلاة لله عندها، وإخباره بلعن من فعل ذلك مع أنه لم يعبدها و لم يدعها وإنما ذلك ذريعة لعبادتها والشرك بها، فكيف بمن عبدها وتوجه إليها ونذر لها وطاف بها وذبح لها ودعا أهلها وطلب منهم النفع والضر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٤ .

(٢) سورة الكوثر، الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٢ .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة لقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره. اهـ.

وبهذا يتبين أن الله سبحانه قد صان قبره ﷺ إجابة لدعائه ﷺ: « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد** » وأن من توجه إليه إنما هو في الحقيقة قاصد لما قام في قلبه أنه قبر النبي ﷺ، وإلا فقبره ﷺ لا يمكن استقباله ولا الوصول إليه.

بل هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى: إن الوصول إلى قبره ﷺ غير مقدور ولا مأمور. اهـ. وذلك بعد إحاطته بثلاثة جدران.

وقسم غلوا فيه ﷺ وزعموا أنه يعلم الغيب ويعلم أحوالهم وما هم عليه، بل وصل ببعضهم أن زعم أنه يشاهده ويجتمع به يقظةً لا مناماً. وهذا تكذيب لكتاب الله وكفر بالله عز وجل يقول سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[2]،

(١) سورة النحل، الآية ٦٥ .

(٢) سورة هود، الآية ١٢٣ .

ويقول عز وجل: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[2] الآية من سورة الأنعام، ويقول عز وجل آمراً نبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[3].

وأما أدلة وفاته ﷺ فكثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[4]، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[5]، ومنها قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[6]، وفي حديث عائشة في قصة وفاته ﷺ وفي آخرها قال ﷺ: « **في الرفيق الأعلى** » ثم فاضت روحه ﷺ.

هذا وهناك من الناس من خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بما هو دون الكفر وإن كان خطيراً يجب الحذر منه فمن ذلك: الحلف بالنبي ﷺ وهذا شرك أصغر وذريعة للشرك الأكبر إذا

---

(١) سورة الرعد، الآية ٩ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٨ .

(٤) سورة الزمر، الآية ٣٠ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٣٤ .

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٨٥ .

اعتقد مساواته بالله عز وجل يقول ﷺ: « **من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك** » وفي الحديث الآخر: « **لا تحلفوا بآبائكم** ».

وقسم من الناس خالف حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله بالابتداع في الدين، وكل بدعة أحدثت فهي مخالفةٌ لحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله؛ لأن من حقيقتها ألا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ، فإذا تقرب العبد لله بالبدع فقد خالف مدلول الشهادة.

ومن البدع التي ظهرت وانتشرت واستشرت في المجتمعات الإسلامية وخصوصاً في مثل هذه الأيام ـ أيام شهر ربيع الأول ـ بدعة المولد النبوي، ولما كانت البلوى قد عمت بها في هذه الأزمان رأينا أن نعرض لها بشيء من التفصيل فنقول وبالله التوفيق:

إن الأصل في هذا الدين الذي دلت عليه الدلائل القطعية من الكتاب والسنة أن لا يعبد إلا الله وألا يعبد الله إلا بما شرع سبحانه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، ومن هنا قال أهل العلم إن العبادات توقيفية، بمعنى أن المسلم لا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه سبحانه وتعالى وبينته سنة رسوله ﷺ، أما من قصد التقرب إلى الله بأعمال ظنها حسنة في عقله أو أخذها عن غيره وإن كان معظماً من العلماء أو من غيرهم فهذا عمله مردود مبتدع وإن قصد الخير. لذا جاء عن بعض الصحابة: « ما كل من قصد الخير أدركه » قاله لأقوام يتقربون لله بما لم يشرعه، ولما نهاهم قالوا: الخير أردنا.

وهنا أصل أيضاً متقرر معلومٌ عند علماء الإسلام وهو أنه عند حدوث التنازع يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فما وجدناه فيه أخذنا به وعملنا به، وما لم نجده لم نتقرب إلى الله به، يقول الله عز وجل: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١)، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾(٢)، ويقول ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها الذي عدّه أهل العلم ميزان العمل الظاهر يقول ﷺ: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » وفي رواية: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** ».

إذا تقرر هذا وهو بحمد الله متقرر عند علماء الإسلام نرجع إلى مسألة المولد النبوي، فنقول: لما كان بعض العلماء المتأخرين قد استحسنها، وقد شنع فيها غيرهم من العلماء والمحققين وذكروا بدعيتها، فكانت عندنا من مسائل التنازع فهنا نرجع إلى الأصل في مسائل التنازع ألا وهو الرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، ونحن إذا رجعنا لكتاب الله لم نجد لهذه المسألة أصلاً يعتمد عليه، وبتتبع سيرته ﷺ لم ينقل لنا أنه أمر بالاحتفال بمولده أو أنه احتفل ﷺ بمولده، أو أن أحداً احتفل بمولده في عهده ﷺ فأقره، مع أنه ﷺ قد عاش ثلاثاً وستين سنة، وقد صحبه وآمن به رجال هم أشد الناس محبةً له وتوقيراً وتعظيماً وفهماً لمراد الله والرسول، بل بذلوا أرواحهم

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

(٢) سورة الحشر، الآية ١٧ .

دفاعاً عنه ﷺ وذباً عن دينه ﷺ، وحرصوا على متابعته في كل صغيرة وكبيرة، ونقلوا لنا سنته ﷺ، ولم يُخلّوا بشيء منها حتى نقلوا لنا اضطراب لحيته في الصلاة إذا استفتح، فلا يمكن أن يكون الاحتفال بالمولد قد عمل في زمنه ﷺ ولم ينقل مع تعاقب السنين وتوافر الهمم والدواعي لنقله.

ثم نظرنا أفضل القرون بعده ﷺ وأحب الناس إليه وهم أصحابه فلم ينقل عنهم ناقل أنهم احتفلوا بمولده ﷺ لا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولا عمر الفاروق رضي الله عنه ولا عثمان ذو النورين رضي الله عنه ولا علي بن أبي طالب صهر النبي ﷺ وابن عمه وأبو سبطيه رضي الله عنهم ولا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم بل ولا التابعين ومن تبعهم بإحسان لا في المائة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة، مع قيام المقتضي ـ الذي يذكره أهل العصر الآن ـ وانتفاء المانع الحسي من ذلك. فعلم أنهم إنما تركوه لقيام المانع الشرعي وهو أنه أمرٌ لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ ولا هو مما يحبه الله ويرضاه ولا مما يقرب إليه زلفى، بل هو بدعة حادثة تتابع على تركها أفضل البشر ﷺ وأفضل القرون رضي الله عنهم وأفضل علماء الأمة علماء الصدر الأول من الإسلام وفي هذا الدليل العظيم والأصل الأصيل مقنع لمن فتح الله على قلبه وأنار بصيرته ورزقه التوفيق والهدى والسداد.

وهذا الذي ذكرناه من أن السلف لم يفعلوا هذا المولد اتفق عليه علماء المسلمين ممن يرى إقامة المولد ومن لا يراه.

والاحتفال بالمولد إنما حدث في القرن الرابع على يد بني عبيد القداح الذين يسمون (بالفاطميين) وهؤلاء القوم قد بان لعلماء الإسلام ضلالتهم وأنهم من الإسماعيلية الباطنية ولهم مقالات وأفعال كفرية فضلاً عن البدع والمنكرات، فليسوا أهلاً للاقتداء والتأسي.

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة فقال سبحانه: ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ** ﴾[1].

وإحداث مثل هذه الموالد فيه استدراك على الله، وأن الدين لم يكمل حتى جاء في القرون المتأخرة من زاد فيه، ولا شك أن هذا تكذيب لظاهر القرآن واستدراك على الملك العلاّم نعوذ بالله من الخذلان.

ثم إن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح عنه ﷺ: « **ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم** ». ولا شك أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وأفضلهم وسيدهم وأنصحهم لأمته وأوضحهم بياناً وأفصحهم لساناً، فلو كان الاحتفال بالمولد خيراً وقربةً لبادر ﷺ لبيانه لأمته ولدلّهم عليه وحثّهم، فلما لم ينقل ذلك علمنا قطعاً أنه لا خير فيه، فضلاً عن كونه قربةً لله سبحانه.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣ .

ثم أيضاً يقال لمن أراد الاحتفال بالمولد النبوي: في أي يوم تحتفل ؟ وذلك لأن أهل السير قد اختلفوا في مولده ﷺ. فمنهم من قال: في رمضان، ومنهم من قال: في ثامن ربيع الأول، ومنهم من قال: إنه في ثاني عشر ربيع الأول وقيل غير ذلك. فكيف يتم لكم الاحتفال؟ أم هل ترى ولادته قد تكررت؟

إن الاضطراب في تحديد تاريخ ولادته التي هي مبنى الاحتفال ؟ عند من يحتفل به دال على أنه ليس من الشرع في شيء ؛ إذ لو كان مشروعاً لاعتنى المسلمون بضبطه وبيان شأنه، شأن مسائل الشرع والقرب الأخرى.

ثم أيضاً يقال: هب أن مولده ﷺ في ربيع الأول فإن وفاته ﷺ كانت أيضاً في شهر ربيع الأول أي في نفس الشهر فليس الفرح بمولده بأولى من الحزن على وفاته ﷺ. وهذا ما لم يقل به أحد من قبل.

هذا وإن هذه المسألة واضحة بحمد الله لمن أمعن النظر ودققه وبحث ومحّص و لم يكن ديدنه التقليد دون دليل، وإن هذه المسألة مما لبّس به إبليس لإغواء بني آدم وإضلالهم وقد وجد في هذه الموالد من المفاسد ما يظهر معه جلياً أنها تلبيس إبليس وذلك من أمور:

ـ **منها**: اعتقاد التقرب إلى الله بهذا الاحتفال، وقد قدمنا أن الأصل في القربات التوقيف والدليل، ولا دليل هنا.

ـ **ومنها**: ما يحصل فيها من منكرات عظيمة؛ منكرات عقدية، ومنكرات أخلاقية، فمن المنكرات العقدية وهي أخطرها ما يحدث فيها من المدائح التي قد جاء في بعضها الغلو فيه ﷺ حتى أوصلوه لمرتبة الألوهية وصرفوا الدعاء له، يقول البوصيري في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

نعوذ بالله من الخذلان، فأين رب السماوات والأرض ؟ أين الرحيم الرحمن ؟ إذا صرف للرسول ﷺ اللوذ وخصّه بذلك في حال الشدّة.

ويقول أيضاً في مبالغة أخرى وغلو زائد:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

ولا شك أن هذا محض حق الله، وقد صرفه للرسول ﷺ دفعه لذلك الغلو الزائد وإرجاف إبليس وجنده الذين ينشطون في مثل هذه المواطن. وهذا من الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفره نسأل الله السلامة والعافية.

ومما يحدث في الموالد المنكرات الأخلاقية، وما يحدث فيها من اختلاط الرجال بالنساء بل ورقصهن معهم والسهر الطويل على ذلك، حتى أضحت مرتعاً للفساق والبطالين ومناخاً مناسباً لهم.

ـ **ومنها**: ما قام به البعض من الإنكار على من لم يعمل هذه الموالد بل وصل ببعضهم الأمر حتى كفروهم وكفروا من ينكرها.

ولا شك أن هذا من استدراج الشيطان لهم وتزيينه لهم وإشراب قلوبهم هذه البدعة المنكرة والعياذ بالله. فابتدعوا بدعة وعملوا بها ثم كفروا من لم يتابعهم ومن أنكر عليهم نصحاً لهم ليردوهم إلى دين الله القويم، وهذا من شؤم البدع والمعاصي إذ لا تزال بصاحبها حتى ترديه والعياذ بالله.

هذا وربما استدل بعض من يقيم هذه الاحتفالات بأدلة يظنها حقاً وهي في الحقيقة سراب بقيعة. وهي دائرة بين نص صحيح غير صريح بل ومحرف عن موضعه، وبين نص ضعيف لا تقوم به حجة. فمن ذلك ما استدل به بعضهم من قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾(١)، قال: إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن وذكر الآية ثم قال: فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبي ﷺ أعظم الرحمة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٢) هكذا قال واستدل.

فنقول وبالله التوفيق والسداد:

أولاً: هذا الاستدلال بالآية لم يسبقه إليه السلف ولا قالوا به، ولو كان خيراً لسبقونا إليه وإحداث أمر لم يعهده السلف مردود على صاحبه، ومدار تفاسير السلف لهذه الآية وأقوالهم فيها على أن فضل

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧ .

الله ورحمته يراد بها الإسلام والسنة، كما بين ذلك ابن القيم يرحمه الله في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية).

ثم يقال أيضاً لهذا المستدل: إنك فسرت الرحمة هنا والفرح بها بالمولد النبوي والفرح به، وعضدت ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾، وهذه الآية في إرساله ﷺ لا في مولده وبين مولده وإرساله ما يقارب الأربعين عاماً. وهكذا جميع النصوص التي فيها وصف النبي ﷺ بالرحمة إنما يوصف بها بعد البعثة والإرسال والنبوة ولم يثبت فيما نعلم وصف مولده بالرحمة، فلا يتم له الاستدلال بالآية، لو سلمنا له.

وربما استدل بعضهم بما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ عقّ عن نفسه » فخرج السيوطي على هذا الحديث عمل المولد.

ويجاب عن هذا بأن الحديث ضعيف أنكره أهل العلم بالحديث قال مالك ـ رحمه الله ـ لما سئل عن هذا الحديث: « أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يعق عنهم في الجاهلية أعقوا عن أنفسهم في الإسلام، هذه الأباطيل » ا.هـ[(١)].

والحديث فيه عبدالله بن محرر وهو ضعيف قال عبدالرزاق رحمه الله بعد أن ذكر الحديث في مصنفه: « إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث » ذكر ذلك ابن القيم في تحفة المودود، ص ٦١ .

---

(١) انظر المقدمات الممهدات لابن رشد (١٥/٢).

وفي مسائل أبي داود أن أحمد رحمه الله لما حُدِّث بهذا الحديث قال: هذا منكر، وضعف عبدالله بن محرر.

بل قال البيهقي رحمه الله راوي الحديث: روى عبدالله بن محرر في عقيقة النبي ﷺ عن نفسه حديثاً منكراً وذكر الحديث بإسناده ثم قال ـ قال عبدالرزاق: إنما تركوا عبدالله بن محرر لحال هذا الحديث، وقد روي من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء. اهـ.[١]

وكذلك حكم النووي رحمه الله على الحديث بالبطلان، وبهذا يتبين سقوط الاستدلال به لما عرفت من حاله. ولهم استدلالات أخرى كلها لا تقوم بها حجة وإنما هي كما قال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[٢]، وما هي إلا اتباعاً للمتشابه الذي أخبر سبحانه أن اتباعه هو طريق أهل الزيغ.

وبهذا يتضح لك أيها الموفق أن هذه الاحتفالات والأعياد بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وأنها مضاهاة لما عليه النصارى الضالون من تكثير الأعياد والاحتفالات وما ذاك إلا لقلة الدين وضعف العلم. وقد أخبرنا ﷺ بذلك حيث قال: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب**

(١) السنن الكبرى (٩/٣٠٠).

(٢) سورة النجم، الآية ٢٣ .

لدخلتموه ». نسأل الله لنا ولسائر المسلمين التوفيق والسداد والهداية لطريق الحق والرشاد.

وفي ختام هذه الكلمة أوصي نفسي وسائر إخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن والتحقق في ذلك وأن يكون ديدن الجميع طلب الحق والعمل به، وأوصي إخواني المسلمين جميعاً بالتفقه في الدين وطلب العلم ليعبدوا الله على بصيرة ولينالوا الخيرية يقول ﷺ: « **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** »، فعليكم إخواني بالتفقه في دينكم وتعلم العلم الشرعي المتين المبني على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وألا تقدموا على أمر إلا بعلم، ولا تحجموا عنه إلا بعلم، ومتى أشكل عليكم الأمر واشتبهت عليكم الطرق فعليكم بسؤال أهل العلم المعروفين باتباع الحق والعمل به امتثالاً لأمر ربكم عز وجل حيث يقول سبحانه: ﴿ ... فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(1).

كما أوصي إخواني من العلماء وطلاب العلم أن يتقوا الله فيما علموا وأن يبينوا للناس ما خفي عليهم من أمر دينهم وأن يجتهدوا في طلب الحق بدلائله من الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح وينشروا ذلك بين الناس، فإن الله قد أخذ على أهل العلم الميثاق على أن يبينوا للناس ما علموا مما يحتاجون إليه وحذر من اتباع سبيل من كتمه ويشتري به ثمناً قليلاً، فقال سبحانه:

---

(1) سورة النحل، الآية ٤٣ .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(١)، وقال سبحانه في شأن من لم يرفع بالعلم رأساً: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

وأنتم يا علماء الإسلام ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في تبليغ رسالة الله «وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

ولا يصدنكم عن الحق وبيانه كثرة من ضل، فإن الكثرة لا تدل على أن الحق في جانبهم بل إن الله قد ذم الكثرة في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾(٤)، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٥)، كما أن القلة لا تعني أن

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٧ .

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٧٥، ١٧٦ .

(٣) سورة الحديد، الآية ١٦ .

(٤) سورة المائدة، الآية ٤٩ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ١١٩ .

الحق ليس معهم فإن الله قد أثنى على القلة في مواضع فقال: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾(1)، وقال سبحانه: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ... ﴾(2)، وغير ذلك من الآيات.

فعلم بهذا أن العبرة إنما هي بالحق وإن كنت وحدك كما قاله بعض السلف. وكذلك أيضاً يجب على العالم ألا ينساق لما اعتاده الناس وجروا عليه مما يخالف الشرع بل عليه البلاغ والبيان وإن رفضه الناس والله سبحانه يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(3).

ووصية أخيرة لحكام المسلمين وولاة أمورهم وأمرائهم بأن ينصحوا لرعاياهم ومن تحت أيديهم وأن يحملوهم على الحق، وأن يحكموا فيهم شرع الله وأن يسعوا في رفع البدع والضلالات عن بلدانهم فإن الله سائلهم عن ذلك كله يقول ﷺ: « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والإمام راع ومسئول عن رعيته** ». نسأل الله سبحانه أن يفتح على قلوب الجميع وأن يرزقنا جميعاً الصلاح والهداية وحب هذا الدين والعمل على نشره وتوعية الناس به.

كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمور المسلمين للحكم بشريعته والعمل بما يرضيه وأن يرزقهم البطانة الصالحة ويسددهم في

---

(1) سورة سبأ، الآية ١٣ .

(2) سورة ص، الآية ٢٤ .

(3) سورة العنكبوت، الآية ٦٩ .

القول والعمل وأن يغفر لنا جميعاً ويتجاوز عن تقصيرنا وخطايانا ويلهمنا الصواب ويوفقنا للعمل به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين.